

في سنة (٩٦٥هـ) أرسل موسى بن نصير عاملاً على إفريقيا فعزم على فتح الأندلس، وأرسل طارق بن زياد البربر الأصل لمباشرة الفتح أول الأمر، يضاف إلى ذلك سوء حكم الإسبانيين وما بين ولاتهم من ضغائن وإحن، وتمّ موسى بن نصير ما بدأه طارق. وانضم إلى هؤلاء في الفتح مصريون وشاميون وعراقيون وجع كثيرون من البربر. وقد امتنج هؤلاء جميعاً ببعض أهل البلاد من قوط وإسبانيين وغيرهم إما بالمصادفة أو بالمحاورة، فكان إذا ولـي الأمر قيسى نكل باليمنيين وقرب المضريين، وإذا ولـي الأمر يمني نكل بالقيسيين وأعلى شأن اليمنيين، وكل يوم نسمع ولـي هزم وولـي نصـب حتى بلغ عدد الولـاة نحو أربعين ولـيـاً في مدة وجبرة. على كل حال كانت العناصر التي سادت الأندلس أربعة: ١) العرب: كانوا يحسون إحساساً قوياً بأـرستقراطيتهم لغلبـتهم على الإسبانيين والبربر وإدخالـهم في الإسلام، ٢) البربر: وهو يشاركون العرب في البدـوة والإسلام والعصبية القبلية والشجاعة؛ ولذلك وجد منهم العرب الأمـرين عند فتحـهم للمغرب. يرون أنـ البربر والعرب دخلـاء عليهم وأنـهم أـحق بملك بلـادـهم. ٤) المسلمين المولدـون من تزاوجـ العرب بالـبرـبر، أو العرب بالإـسبـانيـات والـصـقالـبة، فاضطـرـتهم الحاجـة إلى أنـ يتزـوجـوا من الإـسبـانيـات أو من البرـبر ويـسـتوـلـوـهـنـ. وقد خـرجـ من هذا الاـزـدواـجـ بين عـربـيـ وـبرـبرـيـ، أو عـربـيـ وإـسبـانيـ جـيلـ جـديـدـ مـوـلـدـ، يـشـبهـ ما كانـ فيـ الشـرقـ من تزاوجـ بين عـربـيـ وـفـارـسـيـ، وقد عـرفـ المـولـدـونـ منـ النـسـاءـ الإـسـبـانـيـاتـ بـالـذـكـاءـ وـالـشـجـاعـةـ وـالـجـمـالـ، وقد حـبـ الـعـربـ فيـ هـذـاـ الزـوـاجـ ما عـرـفـ عنـ الإـسـبـانـيـاتـ وـالـبـرـبـرـيـاتـ منـ جـمـالـ وـبـيـاضـ بـشـرـةـ، وقد دـخـلـ كـثـيرـ منـ أـهـلـ الـبـلـادـ فـيـ إـسـلـامـ وـتـكـلـمـواـ عـرـبـيـةـ، ولـما رـأـيـ الـعـربـ وـالـبـرـبـرـيـةـ الـأـنـدـلـسـ أـعـجـبـواـ بـهـاـ، وـافـتـنـتـواـ بـمـحـاسـنـهاـ حـتـىـ قـالـ قـائـلـهـمـ: إـنـ لـلـجـنـةـ بـالـأـنـدـلـسـ مـُجـتـلـ مـرـأـيـ وـرـبـاـ نـفـسـ فـسـنـاـ صـبـحـتـهـاـ مـنـ شـنـبـ وـدـجـيـ ظـلـمـتـهـاـ مـنـ لـعـسـ وـيـقـوـلـ آـخـرـ: وـكـيـفـ لـاـ يـذـهـبـ الـأـبـصـارـ رـؤـيـتـهـاـ وـكـلـ روـضـ بـهـاـ فـيـ الـوـشـيـ صـنـعـاءـ أـنـهـارـهـاـ فـضـةـ وـالـمـسـكـ تـرـيـتـهـاـ وـالـخـرـ رـوـضـتـهـاـ وـالـدـرـ حـصـبـاءـ وـالـلـهـوـاءـ بـهـاـ لـطـفـ يـرـقـ بـهـ منـ لـاـ يـرـقـ وـتـبـدوـ مـنـهـ أـهـوـاءـ فـيـهاـ خـلـعـتـ عـذـارـيـ ماـ بـهـ عـوـضـ فـيـ الـرـيـاضـ وـكـلـ الـأـرـضـ صـهـاءـ وـقـدـ وـصـفـ لـسـانـ الدـيـنـ بـنـ الـخـطـيـبـ عـربـ غـرـنـاطـةـ وـبـرـابـرـهاـ وـصـفـاـ يـنـطـبـقـ عـلـىـ جـمـيعـ عـربـ الـأـنـدـلـسـ تـقـرـيـبـاـ وـبـرـابـرـهـمـ، وـأـنـوـفـهـمـ مـعـدـلـةـ غـيرـ حـادـةـ، وـشـعـورـهـمـ سـوـدـ مـرـسـلـةـ، وـأـلـسـنـهـمـ فـصـيـحةـ عـرـبـيـةـ، وـأـلـزـدـيـ، وـتـعـلـيقـ التـرسـ، وـالـبـرـبـرـيـ يـرـجـعـ إـلـىـ قـيـائـلـهـ الـمـرـيـنـيـةـ، وـالـغـنـيـ بـمـدـيـنـتـهـمـ فـاـشـ، وـرـبـمـاـ اـقـتـاتـ فـيـ فـصـلـ الشـتـاءـ الـضـعـفـةـ وـالـبـوـادـيـ وـالـفـعـلـةـ فـيـ الـفـلـاحـةـ وـالـذـرـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـفـوـاكـهـمـ الـيـابـسـةـ مـتـعـدـدـةـ، وـفـيـ شـقـ: لـاـ غـالـبـ إـلـاـ اللـهـ ... وـدـيـنـارـهـمـ فـيـ شـقـ مـنـهـ: قـلـ اللـهـمـ مـاـلـكـ الـمـلـكـ، وـفـيـ شـقـ اـسـمـ الـأـمـيـرـ، وـقـدـ يـلـغـنـ فـيـ التـفـنـنـ فـيـ الـزـيـنـةـ، لـهـذـاـ اـخـتـلـفـ أـهـلـ الـأـنـدـلـسـ عـنـ أـهـلـ الـشـرـقـ